ثانياً ـ قد يعتقد البعض ان الحديث عن أمن المخيمات قضية مبالغ فيها، واما الواقع فيثبت ان هذا الحديث ليس «امتيازاً فلسطينياً»، كما قال يوماً مسؤول فلسطيني، بل انه حقيقة مرّة؛ فالمأساة الانسانية لا تقف عند حدود الدمار، أي الخسارة المادية، ذلك ان الدمار يعقبه، عادة، أمران، كلاهما مرّ: فاما تهجير ومزيد من الخوف وعدم الاستقرار، واما استمرار الحياة مع الخراب، في انتظار معجزة الأذن بالاعمار.

ثالثاً ـ في الشأن السياسي، لن نتوقف ازاء المواقف السياسية المتواصلة التي كان لبنان يؤازر فيها القضية الفلسطينية، ويدافع عنها في المحافل الدولية؛ كذلك لن نتوقف ازاء المحطة السياسية الرئيسة التي أيّد فيها مؤتمر القمة العربي الثاني في أيلول (سبتمبر) ١٩٦٤ قيام منظمة التحرير الفلسطينية وانشاء جيش التحرير الفلسطيني، لكننا نتوقف ازاء الموقف «المتميّز»، حقاً، الذي انفرد به لبنان يومذاك؛ فلبنان كان أول دولة عربية تقيم علاقات دبلوماسية مع المنظمة، وفي العاصمة بيروت افتتح أول مكتب للمنظمة بين العواصم العربية، غير ان لبنان، في الوقت عينه، كان الدولة العربية التي رفضت السماح لجيش التحرير الفلسطيني بالتواجد على أرضها، حتى بهدف التدريب والاعداد فقط، وذلك نظراً للاوضاع الخاصة التي كان يعيشها لبنان؛ ولكن بعد تصاعد العمل الفلسطيني الفدائي، اثر حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧، ارتفعت وتيرة التصادم بين منطق الدولة ومنطق الثورة، وبين اعتبار التواجد الفلسطيني نقمة أم صدفة؟ وبين اعتبار هؤلاء الفلسطينيين أعداء أم حلفاء؟

رابعاً ـ اما الاحداث الدامية التي تواصلت طوال خمس عشرة سنة، بكل ما تفجر فيها على أرض لبنان من متناقضات، وكل ما كان فيها من تجاوزات وتجاوزات مضادة، وكل ماداهمها من تدخلات وتداخلات، وكل ما سطرته أيامها وساعاتها من عذابات وضحايا وآلام، ومن تهجير ومن هجرة، فما يعنينا منها، في هذا المجال، ليست الذكريات، بل يعنينا التوصل الى العلاقة بين عقدة تلك المسيرة الماراثونية المريرة، وبين عقدة ما يجرى على الساحة، اليوم، من أحداث ومن مفاوضات ومن مخططات أميركية ـ اسرائيلية، وسرعان ما يكتشف المرء ان العقدة واحدة، وهي ما يمكن اختصارها في كلمة واحدة هي: «التوطين»، وفي سؤال واحد: هل هناك توطين للاجئين الفلسطينيين حيث يقيمون؟

ان قراءة متمعّنة للفكر الصهيوني، وتاريخ الهجمة الصهيونية على فلسطين، منذ أواخر القرن الماضي، مروراً بانشاء اسرائيل، وحتى يومنا هذا، تشير الى ان هذا المشروع الاستعماري الاستيطاني ـ أي اسرائيل ـ هو النقيض التام لفلسطين العربية، وهو يتميّز عن سواه من المشاريع الاستعمارية التي شهدها التاريخ، قديمة وحديثة، في استحالة امكان التعايش بين المستعمر (اسرائيل الصهيونية) وأهل البلاد (العرب)، فهو استعمار للارض دون البشر، واحتكار للتاريخ والمستقبل، كما للحاضر، ولا امكانية هناك لنجاح استيطان صهيوني دائم، من غير تهجير السكان العرب وتوطينهم في الخارج، في أي مكان، وقد كان لبريطانيا اليد الطولى في تمكين الهاغاناه من احتلال المدن الفلسطينية في نيسان (ابريل) ١٩٤٨ وتهجير مئات الالوف الى الاقطار العربية المجاورة.

وهكذا منذ ولادة اسرائيل ولدت مشاريع لا حصر لها من مشاريع توطين الفلسطينيين في الاقطار العربية، ومن مهازل القدر ان رسائل الدبلوماسيين كانت تتبادل الآراء في العام الاول للهجرة: سوريا أفضل أم العراق؟ وقد استثنى بعضهم لبنان نظراً لأوضاعه الخاصة[١١]. واستمر سيل مشاريع التـوطين ولم يتوقف، كما استمر نضال الشعب الفلسطيني في رفضها بصلابة، وما زال يرفضها، والبراهين أكثر من ان تحصى.